

التطهير

تأليف

إسلام العقاد

1

صراخ وعويل النساء شق عنان السماء في
 ظلمة الليل عندما اشتعلت منازل الحاره كلها بعد
 ان انفجر زجاج النوافذ في بيوت الحاره
 وخرجت الاهالي لتكتشف أن رؤؤس كل العبيد
 في منازل الوجهاء وأعيان الحاره معلقة علي
 اوتاد خشبية من بداية الحاره وحتى نهايتها ،
 ورغم محاولات كل رجال الحاره وتكاتفهم معا
 لأخماد النيران الا ان النيران لا تهداء بل تزداد
 اشتعالا ووسط انشغال الجميع بجلب الماء في
 محاوله لأخماد النيران سمعوا جيمعا صوت
 يجلجل الحاره كلها ويقول

__ إنة من سليمان وإنة بسم الله الرحمن الرحيم
ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين

وبعد لحظات انطفأت النيران من تلقاء نفسها
كما اشتعلت من تلقاء نفسها وظل الصوت يردد
تلك الاية الكريمة وهداء الجميع وهمس الناس
فيما بينهم

__ انه صوت الشيخ نوح الالفى

__ ان الصوت يأتي من منزله

وظهر دخان اسود كثيف مثل سحابة سوداء
تخرج من نوافذ البيت كلها وتتجه نحو منزل
الشيخ نوح الالفى ورغم دهشة الجميع الا انهم
اتبعوا الدخان حتي عبر من باب منزل الشيخ

نوح الالفى ووقف الجميع أمام الباب والدهشة
علي وجوه الجميع

داخل خلوه الشيخ نوح اجتمع الدخان الاسود في
صف واحد ووسط الغرفة وقف نوح بجلبابة
الأبيض والعمامة الخضراء وفي يده السبحة
وقال بصوت كالرعد

_ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

إن الذين كفروا بأياتنا سوف نصليهم نارا كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب إن الله كان عزيزا حكيما

وارتفع اصوات الصراخ من كتل الدخان الاسود
وتجسد الدخان علي اشكال اقزام لها جلود فضية
اللون وعيون واسعة ورأس مستدير كبير يشبه

ثمره البطيخ وأذن مثل الوطواط وصرخ الجميع
 في توسل للشيخ نوح حتي يتوقف عن القراءة
 وصرخ احدهم قائلاً

_ توقف والا حرق

فنظر له نوح وأشار بأصبعه السبابة وقال

_ ن اسكن واستكين بأمر الملك الجبار جل
 جلاله

فظهر في يد الجنى سلاسل من نار زرقاء ثم قال
 نوح

_ من ارسلكم الي تلك الحاره

فأرتفع اصوات الهتافات والصيحات من الجن
 فقال نوح بصوت كالرعد اسكتهم جميعاً

_ فليتحدث كبيركم

فنظر له الجنى المسلسل وقال

_ ماذا تريد

_ من الذي جعلك تحضر الي هنا

_ لا احد

_ بسم الله الرحمن الرحيم . فأما الذين كفرو

فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخره وما لهم

من ناصرين

فصرخ جميع الجن من شدة الالم فهي ايات

العذاب محرقة لهم ومهلكه ولا يتحملها اي نفر

من الجن ولذلك صرخ الجنى المسلسل وقال

_ الساحر شاهين امرنا بأن نحرق كل منازل
الحاره انتقاما منهم لانهم في يوم من الايام
أهانوه

_ من الذي قتل العبيد

_ انه أمر الساحر شاهين حتي لا يجد الاعيان
من يساعدهم في اخماد نيران منازلهم

_ ومن قتل الفتيات وألقي بجثثهم عند المقابر

_ الساحر شاهين كان يقدمها قرايين الي إبليس
فهو خادم عنده

_ ومن الذي قام بخطف الاطفال الصغار

_ أعوان الساحر شاهين من زرية إبليس لانة
يرغب في ان يفتح الابواب السبعة للملوك

العظام والكيانات القديمة حتي يسيطر علي
الارض كلها

وهنا قال نوح والغضب يملئ وجهه

_ عبد الرحمن

فظهر عبد الرحمن بين يديه والجن الذي يقف
امام نوح لم يروا عبد الرحمن كما يراه نوح بل
كان بالنسبة لهم كتله نورانية شديده النور تعمي
الابصار وبداء جميع الجان في الصراخ من
الرعب وبداء الجميع يتوسل في طلب الرحمة
من نوح بينما الاخير قال

_ سلسل هؤلاء واسجنهم في باطن الارض الي
يوم يبعثون

وظهر من جدران الحجره كتل من النور تحمل في
 يدها كرايبك من نار وخطاطيف والتفت كتل
 النور حول الدخان الاسود وبداء الجميع في
 ضرب الدخان الاسود ثم ظهرت في ايدي وارجل
 الجان جميعا سلاسل من نار وبعد ان وقع الجان
 كلهم في الاسر ساقوهم جميعا الي اسفل الارض
 واختفي الجميع ،لم يمر سوي لحظات حتي
 حضر عبد الرحمن بين يدي نوح مره اخري
 وقال

_ تم سجنهم جميعا

فقال نوح

_ يجب ان نحضر الاطفال المخطوفه

فقال عبد الرحمن

_ اغمض عينك وسوف تنتقل الي هناك الان
وعندما تحضر الاطفال سوف تجد بوابه خشبية
ضخمة هي معبرك الي هنا مره اخري

اغمض نوح عينة ووضع عبد الرحمن يده فوق
رأس نوح وبداء في التتممة ثم شعرنوح بدوار
شديد وبعد لحظه شعر انه يسقط في بئر سحيق
وان وزنه اصبح اخف من الريشة و الجو شديد
البروده ثم سقط علي الارض بقوه وعنف وسط
ظلام دامس ووقف علي قدمية ونظر حوله في
كل مكان ولم يري شئ سوي الظلام وبداء يسير
وسط الظلام وهو لا يري شئ وبعد لحظه وجد
نور ضعيف كنجم يلمع في السماء فركض نحو
مصدر الضوء حتي وصل اليه ليجد مصباح ينير
فرفعة بيمينه ورغم شدة الضوء المنبعث من

المصباح الا انه لا ينير المكان كله والظلام
 مسيطر علي المكان كله والارض اسفل قدمية
 لازجة والجو يزداد بروده فبداء يصيح مناديا
 علي الاطفال كل منهم بأسمه .

لا يعلم كم من الوقت مر عليه وهو يبحث عنهم
 لعلها ساعات او دقائق لكنة كان علي يقين انه
 سوف يجد الاطفال عما قريب وها هو يسمع
 صوت بكاء يأتي من مكان قريب فبداء يتجه نحو
 مصدر الصوت وبداء الصوت يقترب اكثر فبداء
 يسرع الخطا نحو مصدر الصوت حتي تبين له
 علي ضوء المصباح جميع الاطفال تجلس
 القرفصاء وسط الظلام وسريعا ما التف الجميع
 حوله وكأنه طوق النجاة فارحين مهللين فأبتسم
 لهم وقال

_ هل الجميع بخير

فقال احد الاطفال

_ كيف عرفت اننا هنا يا عم نوح

_ بحثت عنكم في كل مكان والان هيا بنا حتي
نعود الي المنزل فأن آبائكم في قمه القلق عليكم
ومن المؤكد انهم سيفرحون جدا برؤيتكم مره
اخرى

فقال احد الاطفال

_ لكن كيف نعود لا يوجد مخرج هنا لقد بحثنا
كثيرا عن مخرج ولم نجد

_ سوف يهدينا الله لكن المهم ان تسيرو معي
ولا يبتعد احد عني ابدا

بداء نوح في السير علي ضوء المصباح وسط
 ظلام دامس وبروده قارسة يبحث عن الباب
 الذي حدثه عنه عبد الرحمن والاطفال تسير معه
 واجسادهم ترتعش من البرد وبعد وقت ليس
 قصير ظهرت بوابه من الخشب ضخمة فأتجه
 نوح نحوها ودفع البوابه بيده وقال محدثا
 الاطفال

_ الان يعبر كل واحد منكم خلف الآخر

وبداء الاطفال جميعا في العبور الي الجه الاخري
 وظل نوح يتابع عبور الاطفال حتي اخر طفل ثم
 عبر الي الجه الاخري في النهاية بعد ان اطمأن
 علي جميع الاطفال .

2

وبعد ان عبر نوح والطفال الي الجه الاخري
تبين لهم انه داخل غرفة نوح في منزله فقال
الاطفال جميعا

_ اين نحن يا عم نوح ؟

_ نحن في الحاره في منزلي

فرح الاطفال وتعالى الضحكات وبداء الجميع في
العناق وبعد ان شكروا نوح الالفى خرج جميع
الاطفال من الغرفة ليجدو فاطمه علي الباب تقف
تسترق السمع ولدهشتها بعد ان رأت الاطفال
ظلت تنظر لهم في دهشة وهم يخرجون من

الغرفة الي ساحة الدار ومنها الي الطريق دون
 ان تقول كلمه واحده فنظر لها نوح وابتسم
 نصف ابتسامه ثم اغلق باب الغرفة مره اخري
 وتحدث الي عبد الرحمن الذي ظهر في ركن
 بعيد في الغرفة وقال

__ والان حان موعد التطهير

جلس نوح علي الارض وبداء يقرأ بعض
 الايات بصوت مرتفع وبعد قرابة النصف ساعة
 من القراءه سمع الناس صوت شاهين وهو
 يصرخ ويخرج من منزله والنار تشتعل في
 جسده كله وظل يركض وسط الحاره والنار
 تشتعل بجسده ثم سقط علي الارض بعد ان فارق
 الحياه .

لا احد يعلم كيف فهم الناس أن شاهين هو
 الساحر وأن نوح الالفى قراء ايات لحرقت الجن
 الذي معه وبسبب اصرار شاهين على المقاومة
 احترق الجن واحترق شاهين ايضا لعلها فاطمة
 اذاعت الخبر او توقع الجميع هذا بعد ان قص
 الاطفال عليهم قصة ظهور نوح وسط الظلام
 والعودة بهم الى الحارة كلها او لعلها بعض
 التكهانات والاستنتاجات لكن المهم حقا هو ان
 الخبر انتشر في الحارة كلها كالنار في الهشيم
 وبين ليلة وضحاها اصبح الشيخ نوح الالفى
 حديث الحارة كلها والحارات الاخرى وبطل
 ومعشوق الجميع واصبح الناس كلها تحترمه
 اكثر وتوقره وما فعله من موقف بطولي وانقاذ
 الحارة كلها واستعادته الاطفال المخطوفه يتغني

به الشعراء علي الربابة في المقاهي واصبح
 فارس شديد البأس يهابه كل الجان فهو الاول
 من نوعية الذي يستطيع ان يسجن هذا العدد من
 الجان ويحرق اعداد اخري واصبح العدو الاول
 لدي كل ممالك الجان ويهابه المارده والعفاريت.

ذاع صيته بين الحارات واصبح له مريدين من
 كل مكان واصبح كل من في الحاره فخور بأن
 لديهم الشيخ نوح الالفي حتي اصبح الناس
 تتباها فيما بينهم انهم يسكنون في نفس الحاره
 التي يعيش فيها نوح حتي الحارات الاخري
 اصبحت تحسدهم علي وجود مثل الشيخ نوح
 فيما بينهم ولم تكتفي الناس بالصلاه خلف الشيخ
 نوح في المسجد بل جعلوه امام المسجد واصبح
 العديد والعديد من النساء والرجال تنتظره كل ليله

امام باب داره لتتبارك به ولتستشيره في بعض
الامور مثل التخلص من الحسد واتساع الرزق
وهكذا ، لم يتأخر نوح الالفي في مساعده احد
ولم يستطيع ان يقهره الفتوه الجديد حموده بعد
ان اصبح نوح معشوق الجميع .

واقام حسن درغام احتفال كبير بعوده ابنته اليه
مره اخري ووجه دعوه خاصة للشيخ نوح
الالفي واقام سرادق في الحاره كلها وحضر كل
اعيان الحاره والحارات الاخري والفتوه حموده
ورجاله حتي الفقراء والمساكين خصص لهم
درغام شادر كبير وصواني الطعام واللحم
والفاكهة كانت في كل مكان والذكر طوال الليل
لم ينقطع حتي الفجر وجميع اعيان الحاره قبل

الفقراء شهدو انهم لم يروا احتفال اضعف من
هذا واعظم الا في الاحلام .

تطهرت الحاره من كل الشرور وعاش الناس في
هدوء وسكينة مده من الزمن حتي صباح احد
الايام شهدت الحاره كلها ما جعل حياتهم تنقلب
رأس علي عقب .

3

في يوم من الايام شهدت الحاره فتى غريب
 قادما من جهة الخلاء ، يتبعة فتاه صغيره في
 الحادية عشر من عمرها . كان يرتدي جلبابا
 ترابي اللون علي اللحم وفي يده صندوق خشبي
 كبير وانتعل مركوب باهتا متهتكا ، اما رأسه
 فبدا عاريا مشعث الشعر غزيره وكان ابيض
 اللون مستدير العينين ، حاد البصر وفي حركاته
 ثقه وفي عينه نظره قلقة وقف قليلا عند مدخل
 الحاره ثم تقدم علي مهل تتبعة الفتاه وتطلعت
 نحوه الابصار وكأنما تتسائل

(غريب في حارتنا !) قراء ذلك في أعين
 الباعة وأصحاب الدكاكين والجالسين في

القهوات والمطلات من النوافذ والتفت نحوه
الغلمان في تحرش واقترب بعضهم منه وأخذ
الآخرون يملأون النبال أو يبحثون في الأرض
عن طوبه ، فابتسم لهم ودس يده في جلبابه
وأخرج قرطاس نعناع وراح يوزعه عليهم
فأقبلوا نحوه فرحين ومضوا يمضون النعناع وهم
ينظرون له بأعجاب وقال لهم والابتسامه لا
تفارق وجهه

_ من يدلني منكم علي بدروم خال للايجار ؟
وسألتة امراءه كانت مستنده علي جدار تفلي
رأس غلام امام منزلها

_ من انت حتي تسكن في حارتنا ؟

فضحك وقال

_ خداميك زقلط من اولاد حارتكم وانا عائد بعد
غيبة

_ ابن مين ان شاء الله؟

_ زقلة ، الا تعرفية

_ زقلة؟ الحاوي؟

_ هو بشحمة ولحمة

_ كنت تتبع اباك وانت غلام ما زلت اذكرك ،

تغير كل شئ فيك الا عيناك واين هو ابوك

_ مات

_ الف رحمة ونور عليّة ، ياما قعدت قدام ابوك

اتفرج عليّة وبخفي البيضة ويطلعها من جيب

عباية احد المتفرجين الف رحمه عليك يا زقلة

_ الله يعطيكي العافية والصحة ستدليني انتي
علي بدروم خال بإذن الله

فنظرت له المرأة بنظر أعمش وقالت

_ وماذا عاد بك بعد الغيبة الطويلة انت غادرت
الحاره مع ابوك وكان عمرك خمسة اعوام

_ مسير الواحد يعود الي حارة

اشارت له بيدها بعيدا وقالت

_ عندك هناك امام دكان عمك الشيخ نوح بدروم
خالي للايجار لكن اتحرق فية شخص الا يخيفك
هذا

_ الموت حق علينا سواء جاء بحرق او غرق

وحياها ومضي نحو المنزل الذي اشارت اليه .
وأصبح محط انظار الجميع
وتسرب الي اذنة همسات الناس فسمع احدهم
يقول

_ شحات ابن شحات

وعجوز يقول

_ ابوه عاش جعان ومات جعان

وهمست الفتاه في أذنه ساخطة

_ لماذا عدت بنا الي هذه الحاره ؟

فقال زقلط والابتسامة مازالت علي شفوية

_ انه امر يا جحشة ولا تنسي انها حارتنا علي

كل حال واهلها طيبون ثم لا تنسي انه لا خيار

لنا وكلما اشتعل الغضب في صدرك بسبب
 ألسنتهم القذرة تذكرني اننا إذا نجحنا سوف
 نسود العالم كله

ومضي وهم يتهايمسون وسري نبأ عودته في
 الحارة كلها وقبل ان يستلم البدروم جاء عرفة
 صبي القهوة وقال له

_ المعلم حموده فتوه الحاره يطلبك

ذهب الي القهوة علي مبعده قريبة من المنزل .
 لفت نظره أول ما اقترب منها الصورة
 المنقوشة علي الجدار الاوسط فوق الاريكه كانت
 تبدأ بصوره الفتوه حموده يمتضي جواده
 بشاربة الكث وفوقها صوره نوح الالفى وحوله
 الاطفال وتأمل الصوره بعنايه شديده لكن سريعا

ثم دخل القهوه ووجد الفتوه حموده يجلس علي
 الاريكه في الجناح الايمن وحوله رجاله والاتباع
 والاعوان فاقترب منه ووقف بين يديه ونظره له
 حموده نظره طويله وكأنه يتأمله قبل ان يفترسه
 فرفع زقلط يده الي رأسه محييا الفتوه قائلا

_ التحيات المباركه علي فتوتنا ومن نحتمي
 بحماه ونأتمر بأمره

ولاحظ النظرات الساخره ثم قال حموده

_ كلام جميل لكن عمله لا نتداولها فيما بيننا

فقال زقلط

_ الصبر يا سيد المعلمين حتي اخرج للرزق

وسوف ادفع الاتواه مثل اهل الحاره كلها

فنظر له حموده بأحتقار وقال

_ ما هي صنعتك ؟

_ حاوي . اجوب الشوارع والحارات اعرض

فنون السحر والعباب خفة اليد

فضحك حموده وضحك كل من حوله مجامله له

ثم سكت عن الضحك مره واحده فسكت الجميع

وقال

_ نشوف أماره

فهم زقلط انه علي مشارف اختبار وإن لم يجد

استحسان من الفتوه سوف يأمر بترحيله علي

الفور فجال ببصره يتفحص كل الموجودين حتي

وقع بصره علي رجل شديد الضخامه له شارب

كث فأقترب منه وقال

_ اريد البيضة

فنظر له الرجل في تعجب ثم نظر نحو حموده
فقال الاخير

_ اعطيه مايريد

فهز الرجل منكبيه وكأنه يقول لا اعرف شيء
فعاد زقلط يقول

_ انت تجلس علي البيضة

فقام الرجل ووجد الجميع بيضة دجاجة صغيره
اسفل الرجل فعج الجميع بالضحك والسخرية
عليه ولم يقوي احد علي الاعتراض فنظر الفتوه
الي زقلط وقال

_ ما اسمك ؟

__زقَطْ

فقال حموده وهو مبتسم

__زقَطْ الحاوي . سوف تعيش فيما بيننا

4

تفقد هو وجحشة البدرود في ارتياح ومضي يقول

_ اوسع مما تخيلت فهذه الحجره سوف تكون

للنوم والاخري للعمل والثالثة للجلوس فيها

فسألتة جحشة في قلق

_ تري في أي غرفة احترق ؟

فضحك زقلط ضحكه رنت بين الجدران وقال

_ أتخافين العفاريت يا جحشة ونحن نتعامل

معهم

_ انت تتعامل معهم اما انا فلا اجيد التعامل

معهم

_ سوف تتعلمين كل شئ في الوقت المناسب

_ ولماذا نتخلي عن مهنتنا انت حاوي اين

حاوي

_ سوف نصبح من الاثرياء بفضل العفاريث لكن

المهم ان لا يعلم احد من اهل الحاره اننا نتعامل

معهم فانا حاوي فقط

فنظرت حولها وقالت في محاوله لتغير دفه

الحديث

_ لا يوجد سوي نافذه واحده هنا نستطيع ان

ننظر منها وسنري الطريق من تحت من خلال

النافذة ذات القضبان الحديدية

_ نعم ولهذه المقبره ميزه جليله وهي انها تطل
علي دكان نوح الالفى فسيكون امام عيني طوال
اليوم

_ اخشي عليك منه

_ لا تخشي علي من احد

اعتاد الجلوس علي الاريكه المتهالكه اسفل
النافذه مستند برأسه علي القضبان الحديده ينظر
منها الي الطريق ولا يري شئ سوي ارض
الحاره واقدام المراه والكلاب والقطط والحشرات
واذا رغب في رؤيه الصدور والوجوه ينحني
الي الاسفل من حين الي اخر حتي يري وجهه
نوح الالفى ومحمد جمال العطار وهو يسمع

حديثهم اثناء جلوسهم علي باب الدكان فكان
يقول محمد العطار لصديقة نوح

_ مازلت لا افهم كيف يكون لديك هذه الهبة ولا
تخبرني بها

ابتسم له نوح وقال

_ كانت من الاسرار ولا يجب ان ابوح بها لاحد
حتي فاطمة نفسها لم اخبرها بشيئ

_ قص علي ماحدث معك وكيف انتصرت علي
شاهين

_ إذا قصصت عليك القصة هذه المره ستكون
المره المائه بعد الخمسون الا تمل من سماعها

_ صدقتي مازلت مندهشا

قاطعهم حديث عرفة صبي المقهي وهو يضع
الينسون والنعناع علي المنضده امام نوح

_ احلي يانسون للشيخ نوح حامي الحاره

فضحك نوح وقال

_ اخفض صوتك وإلا سمعك حموده

فأبتسم عرفة في ارتباك وانصرف ثم سمع
صوت زقلط مناديا عليه من خلف النافذه

_ هات واحد شاي يا عرفة

فنظر له عرفة في استنكار وقال

_ تعالي المقهي واشربه هناك ولا علي رجلك

نقش الحنه

ابتسم زقلط وقال

__ الله عليكي يا حرتنا يا حلوه وعلي ظرف دم
اهلك

وثناء هذا الحديث كان محمد جمال العطار يتابعة
بأهتمام وبعد ان انصرف عرفة نظر محمد
العطار الي نوح وقال

__ اسأل اصحابك عن هذا الفتى الجديد

__ تقصد زقلط

__ نعم اسألهم اي مصيبة جائت به الي هنا

فأبتسم نوح وقال

__ لا داعي للسؤال فالعين تري والقلب يشعر انه

شاب مسكين مثل اهل الحاره داقت به الدنيا

وعاد الي الحاره التي ولد فيها يستأنس بأهلها

__ وما قصه هذه الفتاه التي معة ؟

__ انها اختة الا تري التشابه فيما بينهم

__ لكني في قمه القلق بسبب هذا الغريب

__ دع الخلق للخالق . سوف اذهب لصلاه العصر

__ سوف احضر معك

انصرف نوح ومحمد للمسجد بينما تنهد زقلاط

وابتعد عن النافذه واتجه نحو الغرفة الخلفية .

لم تكن الغرفة تصلح للحياه العاديه لرطوبتها

وظلامها ولموقعها اخر البدروم فجعل زقلاط منها

مقرا لعمله وبدأت علي أرضها وفي اركانها

مجموعة من أوراق الاحبة والاتربة والجير

ونباتات وتوابل وحيوانات وحشرات مجففة

كالفنران والضفادع والعقارب واكوام من قطع

الزجاج وقوارير ومياه في صفائح وسوائل
غريبة ذات رائحة نفاذه وفحم وكانون وقد ركبت
علي الجدران رفوف حملت بأنواع شتي من
الاوعية والأنيية ولأكياس وجحشة تجلس
القرفصاء علي الارض وعندما شعرت به نظرت
له وقالت

_ الافضل ان أوقد الكانون في دهليز المنور وإلا
اختنقتنا

فقال لها زقلط وهو متجه نحو منضده كبيره
خشبية وضع عليها وعاء من الفخار

_ اوقدية في جهنم ، لكن لا تخرجيني من
تفكيرى فأنا علي مشارف بدايه العمل إن اى
مغفل ممن يحسبون انفسهم معلمين في هذه

الحاره لا يستطيع ان يدرك خطوره ما اصنعة في
 هذه الغرفة المعتمة ان أعاجيب لا يحيط بها
 الخيال ممكن ان تخرج من هذه الغرفة ذات
 الروائح الكريهة

وكانت جحشة قد قامت نصف قومه فعادت
 تجلس القرفصاء وهي تقول

_ كل هذا الجمال والابداع قد يطيح به نوح
 الالفى في اى لحظه

_ ماأصنعة هنا لا يستطيع احد ان يكتشفة وإن
 اجتمع شيوخ الارض كلها

حملت جحشت الكانون وقالت وهي تخرج من
 الغرفة

_ نوح الالفى غير كل مشايخ الارض

بداء زقلط في العمل وخلط بعض الاشياء علي
بعضها البعض في وعاء فخار وطحنها وكان
منهمكا في خلط هذه المواد بنسب محدده وكان
يعمل بهمه والعرق يتصبب من جبينه فيجففة
بكم جلبابة من حين الي اخر .

5

في ظلمه الفجر صرخت جحشة صرخة قوي
 اهتزت لها جدران البدروم كانت صرخة فزع
 كمن رأي الموت امامه وفي ثواني اقطم زقلط
 الغرفة لنجده جحشة فوجدها تجلس علي
 الفراش منكمشة وامامها ثعبان شديد الضخامة
 وبسرعة البرق قبض علي الثعبان من عنقة
 كمحترف اعتاد اللعب بالثعابين واتجه به نحو
 صندوق خشبي ضخم ووضع الثعبان بداخل
 الصندوق بجوار باقي الثعابين التي تملئه فهتفت
 جحشة قائلة

_ هذه الثعابين التي تقتنيها ستقتلنا في يوم من
الايام

ابتسم زقلط وقال

_ اتعجب كيف لابنة حاوي واخت حاوي تخشي
الثعابين

_ كان ابي دائما يبعدها عني وانت تعلم جيدا
انني اخشاها بشده

_ وكيف نأكل بعد ان اتخلص منها

_ نحن هنا منذ اكثر من خمسة عشر يوما ولم
اراك تلعب بهم امام الناس بل تتعمد ان تخفيهم
عن عيون الجميع فتخلص منهم

_ لا يجب ان يعلم اهل الحاره انني احوي
 الثعابين في منزلي واني اجيد التعامل معهم فهذا
 جزء من خطتي

_ انا لم اعد افهم شئ اهي خطة واحده تعتمد
 علي سحرك ام الافاعي ام القفز داخل بيوت
 الاعيان والاثرياء كالصوص

_ لقد بدلت خطتي وسوف تفهمين كل شي فيما
 بعد اما الان فنامي واستريحي وانا سوف اخرج
 _ هل ستنفذ خطتك اليوم

_ بالطبع لا لكن امامي عمل اخر
 خرج زقلط من البدروم تاركا خلفه جحشة في
 شدة الغضب والغيط بسبب الثعابين وقطع مسافة
 كبيره من الغوريه الي الجماليه الي الدراسة ثم

منها الي الخلاء كان في الجو نسمة هواء جميله
 فجلس عند صخره كبيره يتأمل السماء والنجوم
 التي تلمع وهمس مخاطبا نفسه

_ كيف نصدق ان تلك النجوم في السماء تتحكم
 في مصائر بشر

فظهر شبخ رجل نحيف وقصير القامه وسط
 الظلام يقول

_ لا تشغل بالك بعلم النجوم والفلك واهتم
 بسحرك انت

فأنتبه زقلاط للصوت ونظر نحو شبخ الرجل الذي
 انعكس علي وجهه ضوء القمر فقال وهو ينهض

_ زخاري ؟ لماذا تأخرت هكذا ؟

_ انا لم أتأخر بل فضلت ان اتركك قليلا تتأمل
قبل لقائنا

_ جئتك اليوم ابلغك انني سوف أبدأ في تنفيذ
الخطه من الغد

_ اعلم ويجب ان تتذكر اننا امامنا عشره ايام
فقط وإن فشلت سوف انتظر الف عام اخري .

_ لا داعي لهذا الحديث فأنا ارغب في ان امتلك
العالم بأثره ولن اسمح بالفشل ان يكون رفيقي
مره اخري

_ اعلم انك سوف تنجح فيما فشل فيه الاخرون
بقوه سحرك الغريب لكني اذكرك بأن الفشل
سيكلفك حياتك

ابتلع زقلط ريقه بصعوبه ثم قال

_ لا داعي للقلق سوف انجح اطمأن

انصرف زقلط عائدا الي البدروم وقلبه يخفق
 بشده وبداء هاجس الفشل يجول في خاطره
 ويفكر في مصيره اذا فشلت خطته لكنه كان علي
 يقين تام بأن نوح لن يستطيع ان يفعل اي شيء
 حيال هذا الامر .

تفاجاء زقلط إن جحشة مستيقظه عقب وصوله
 الي البدروم فنظرت في عينة وقالت

_ اين كنت ؟

_ كنت اجلس في الخلاء وحدي افكر

_ ان اقتحام منازل الاثرياء ليس بالامر الهين

_ سوف ادخل بيوت الاعيان في وضح النهار
وبدعوه منهم

_ كيف ؟ هل جنت ؟

_ غدا سوف تري بنفسك

6

بعد لقاء زقلط بزخاري جرت في الحاره أحداث
 غريبة . فذات يوم ترامت استغاثة امرأة من
 بدروم وتبين ان ثعبانا زحف بين قدميها فخرجت
 تجري الي الطريق وتطوع رجال للتفتيش عن
 الثعبان فدخلو مسكنها بعصيمهم وفتشوا عن
 الثعبان حتي عثرو عليه وانهالو عليه ضربا
 حتي قتلوه وطرحوه علي ارض الحاره ولم
 تمضي ساعة حتي ارتفعت صرخة استغاثة
 اخري من بيت في مطلع الحاره ولم يأتي الليل
 الا وتعالى الصيحات في احد الربوع إذ رأى
 البعض ثعبانا ولكنه اختفي قبل ان يلحق به احد
 وضاعت الجهود للعثور عليه وهنا تطوع زقلط
 للعثور علي الثعبان وذهب الي الربع وتحدث

الناس عن وقفة زقلط عاريا في الحوش وعن
لغة السريه التي خاطب بها الثعبان حتي جاءه
طائعا وكادت تنسي تلك الاحداث مع صباح اليوم
التالي الا ان تكرار وقوعها في بيوت الاعيان
والاثرياء .

وقد ذاع وملاً الاسماع ان ثعبان لدغ حموده
الفتوه وهو يقطع دهليز الربع الذي يقيم فيه
وصرخ الرجل علي رغبة حتي ادركه اصحابه
واسعفوه . وانقلب الحادث احدثه وقال الناس
وعادوا . غير ان نشاط الثعابين الغريب لم
يتوقف بل انتشر اكثر واكثر حتي ان احدهم رأي
ثعبانا بين عمد السقف في المقهي ، لاح نصف
دقيقة ثم اختفي فهبو مذعورين . وغطت اخبار

الثعابين علي كل ما يجري في الحاره . وبدا ان
 نشاط الثعابين تجاوز حدود الادب فقد ظهر
 ثعبان ضخم في بيت نوح الالفى نفسه ولدغ
 فاطمه زوجته واسرع محمد جمال العطار في
 انقاذ السيده وأعد لها دواء عشبي انقذها من
 الموت المحقق وتراجعت الناس في الذهاب الي
 الشيخ نوح لنجدتهم من الثعابين فهو نفسه لم
 يستطيع حماية زوجته من الثعبان وبداء الجميع
 يتجاهل نوح تماما وشعر الجميع انه عاجز عن
 فعل اي شي وانه تحول الي بشري بلا كرامات .
 وظهر ثعبان ضخم في منزل حسن درغام ورغم
 ان الخدم كثيرين انتشرو في اركان البيت كله
 للتفتيش عن الثعبان الا انهم لم يعثرو عليه
 وركب الخوف حسن درغام والهائم حتي فكرت

جديا في مغادره المنزل حتي التأكد من خلوه من
 الثعابين ثم تعود مره اخري وبينما البيت مقلوب
 رأس علي عقب ترامي من بيت نعناع صاحب
 وكاله العلف وهو من الاثرياء صراخ وضجيج
 فذهب البواب ليستطلع الامر ثم عاد ليخبر سيده
 بأن ثعبانا لدغ احد ابناء نعناع ثم اختفي
 وتملك الخوف النفوس وعزمت الهانم علي
 مغادره المنزل الا ان البواب قال ان زقلط حاوي
 وللحواه قدره علي اصتياد الثعابين وانه
 استخرج ثعبانا من احد ربوع الحاره ليله امس
 فأمرت الهانم البواب بأن يستدعي زقلط علي
 الفور .

وتجمع كثيرين فيما بين درغام والهائم وتوافد
 ذوو الشأن علي بيت درغام وفي مقدمتهم
 الفتوه حموده والشيخ نوح الالفي والسيد نعناع
 وبعض رجال الفتوه ولم يكن للمجتمعين من
 حديث الا الثعابين فقال احد رجال الفتوه

_ لا بد أن شيئاً في الجبل دفع بالثعابين الي
 بيوتنا

فقال حموده وقد بدا انه يقاتل نفسه لانه لا يجد
 من يقاتله وما يزال يعرج من اصابه ساقه

_ نحن نبعد عن الجبل ومن الاولي ان تهجم
 الثعابين علي الدراسة فهي الاقرب من الجبل
 فقال نعناع غاضباً لما أصاب ابنه علي حين
 تملك الخوف الجميع

_ إن بيوت الحاره كلها لم تعد صالحة للمبيت
 فنبيت جميعا ليله او ليلتين في الخلاء حتي
 يحضر احد الرفاعية ليخلصنا من الثعابين
 فقال درغام

_ كيف تببت حاره بأكملها في الخلاء يانعناع
 ومن بينهم نساء واطفال وشيوخ اظن ان هجوم
 الثعابين خلفه عمل سفلي او سحر فهذا امر غير
 طبيعي

وهنا تحدث نوح الالفى قائلا

_ انه امر غير طبيعي ان ينزح الي حارتنا كل
 هذه الاعداد من الثعابين لكني متأكد ان هذا
 الفعل ليس له اي علاقة بالسحر او الاعمال
 السفلية

فقال حموده متمم في غيظ

_ واضح انك اصبحت بلا كرامات كما تقول
الناس

فنظر له نوح نظره سريعا ثم نظر الي الشخص
القادم من الباب

وجاء زقلط حاملا جرابة ، فحيا الجميع ووقف
امام درغام والهائم في أدب وثقة وتطلعت اليه
الابصار وكأنه المنقذ الذي جاء من السماء وقال
درغام له

_ قيل لنا يا زقلت انك تستطيع استخراج
الشعابين من بيوتنا ؟

فقال زقلط بهدوء

_ تعلمت هذا فيما تعلمت يا صاحب الفضل

_ دعوتك اليوم لتطهر البيت من الثاعبين

فقال نعا

_ وبيوتنا وبيوت الاخرين

فقال زقلط

_ إن خبرتي تحت امر الجميع فالיום هو يوم

التطهير لكن الثعابين سوف تعود مره اخري

فنظر الجميع الي بعضهم البعض فعاد زقلط يقول

_ ان ما يحدث هو نشاط غريب من الثعابين

وأظن انها سوف تستوطن هذا الحي وحتى لا

تعود مره اخري سوف اشعل بخور في كل منزل

اطهره واتمني ان لا ينطفئ هذا البخور عن

البيت لمدته ثلاث ايام متواصله فهل الجميع
موافق

فقال درغام

_ هيا طهر المنزل من الثاعبين

فأمر زقلط الجميع بالابتعاد عن المكان حتي
اقصي الحديقة فخلا له المكان والبيت كله
وتجرد من ملابس الام مايستر عورته ومضي
يتنقل من مكان الي مكان ومن حجره الي حجره
وهو يصفر صفيرا خافتا تاره او يغمغم بكلام
غير مفهوم وأذن لزقلط ثعبان كان مختفيا في
المنور واخرج اخر من حجره الخدم قلف
الثعابين علي ذراعة وظهر بهما امام السلامك
حيث اودعهما جرابة وارتي ملابس ووقف

ينتظر حتي جاء الجميع فقال لهم موجهها خطابة
لهم وهو يقدم لهم لفافة محكمه الغلق

_ اشعلو هذا البخور في المنزل ثلاث ايام والان
هلموا الي بيوتكم لاطهرها

ومضي خارجا والجميع يسير وراءه صامتا .

7

وفق زقلط في تطهير الحاره من الثعابين علي
 مرأي من جميع أهلها وكان كلما أذعن له ثعبان
 تعالي الهتاف والزغاريد حتي باتت حديث الحاره
 من الغوريه الي سوق السلاح واشعل بخور
 خاص في كل منزل يطهره ولما فرغ من عمله
 ومضي الي البدروم تجمع حوله الغلمان
 والشباب وراحوا يهتفون بأسمه مصفقين

تواصل الهتاف والتصفيق حتي بعد ذهابه غير
 ان كان ذلك رد فعل شديد في نفس الفتوه حموده
 فما لبث ان خرج هو ورجاله للمتظاهرين
 فأنهالوا عليهم لعنا وسبا وصفعا وركلا حتي

تفرقوا لائذين بالبيوت ، فلم يبق في الطريق الا
الكلاب والقطط والذباب ، وتسائل الناس عن سر
هذه الحمله ، كيف يجزي الفتوه صنع زقلط
بالاعتداء علي المتظاهرين من اجله وهل هي
بداية حمله انتقامية عاتية علي زقلط وجحشة
ودارت هذه الاسئله في رأس زقلط وهو جالس
بجوار جحشة وكانت تقول بأصرار وحماس

_ انت عبقرى ياأخى لا اصدق انك بهذا الذكاء
كله فعلا صدقت عندما قلت لي انك سوف تدخل
بيوت الاعيان في وضح النهار وبدعوه منهم
والادهى من ذلك انك تحولت الي بطل يعشقة
الجميع والتفت الناس حولك واصبحت منقذ
الحاره كلها وافضل من نوح الالفى منقذ الاطفال
فقط

_ والاكمل من هذا وذاك ان الناس انفضت عن
نوح تماما

_ الان فقط فهمت لماذا كنت تشتري الثعابين
بكثره طوال الايام الماضية لكن كم ثعبان خسرت
_ لم اخسر الكثير منهم لكني ربحت اكثر والان
يجب ان انتقل الي الخطوه الثانية قبل حمله
الفتوات الانتقامية فلن يتحمل الفتوه حموده ان
يكون هناك احد يحبه الناس وتلتف حوله خوفا
من ان اسحب البساط من اسفله واتربع انا علي
عرش الفتونه بسبب تجمع الناس حولي
_ لكن لا اظن انه يفعل لك شئ والناس من
حولك

_ اذا رفع النبوت وضرب به علي رأسي سوف
تهرب الناس الي البيوت كالفئران التي تهرب
الي الجحور ولذلك يجب ان أبدأ في الخطوه
الثانية

_ هل مفعول سحرك سريع

_ اسرع مما تتخيلين وغدا في المساء سوف
تسمعي وتري بنفسك

_ انا الان اصدقك وفخوره بأخي زقلط

_ عندما يكتمل مخططي سوف تفخري بي اكثر
واكثر والان هيا اخدي الي النوم

ونام زقلط تلك الليله وهو يشعر بتفائل وان
مخططه سوف ينجح , وكانت ريح بارده تهب
بشده باعثة عواء ، وركضت السحب في السماء

كانها مطاردة ، فتسائل نوح وهو ينظر من نافذه
غرفه النوم

_ هل ينهل المطر ؟ وترامت ضجة سكارا
البوظه في الخارج حتي ابتلعت مواء القطط
ونباح الكلاب وهتف احد السكارا وشق صوته
سكون الليل قائلا

_ هات قرعه اخري يا ابن القرعة

فتسرب الي أذن نوح اصوات ضحكات عالية
فأغلق النافذه واتجه نحو المصباح وخفض فتيل
المصباح قليلا فهداء الضوء المنبعث منه ثم
اتجه نحو الفراش وجلس بجوار فاطمه قائلا

_ كيف حالك اليوم ؟

_ الحمد لله افضل بكثير اظن انني غدا سوف

اتعافي تماما واستطيع الحركة في المنزل

_ ارتاحي غدا وانا سوف اقوم علي خدمتك

فنظرت له فاطمة نظره عتاب وقالت

_ كنت افضل ان تقوم علي خدمه الناس

وتتجدهم انت من الثعابين

فأبتسم نوح وقال

_ كنتي تفضيلن البطوله لا تخرج من بيتك

_ لا ما اقصد هذا وكل قصدي هي خدمه الناس

_ وزقلت خدم الناس وخلص الحاره من الثعابين

فما الفرق

- _ انت الشيخ نوح منقذ الاطفال وطارد العفاريت
فكان يجب ان تكون انت البطل وليس هو
- _ كل منا يخدم الناس في حدود معرفته
- _ وهل عرفت سر الثعابين
- _ هناك من اطلقها علي الحاره لكني لا اعرف
السبب حتي الان
- _ وسر البخور المشتعل هل يقوم الفتى بتحضير
الجان في منازل الوجهاء دون علم اهل البيت
- _ ظننت مثلك في البدايه الا انه تبين الي انه
مجرد بخور مصنوع بعنايه وبه بعض المركبات
الخاصة والدقيقة لكنه في النهاية بخور ولا
يوجد اي شئ اخر

_ مازال قلبي يحدثني ان هناك كارثة سوف تقع

اتجه نوح نحو المصباح ونفخ فيه بقوه فأنطفأ

ثم عاد الي الفراش وقال

_ تصبحي علي خير يا فاطمة

8

في صباح اليوم التالي شهدت الحاره حادث من
 نوع غرب كان بداية لحوادث اكثر غرابه , قبل
 العصر خرجت سيده من منزلها تصرخ وفي
 يدها سكين وتطعن نفسها به وهي تصرخ بشده
 والتف الناس حولها في محاوله منهم لانقاذها
 لكنها كانت تصرخ بفزع كلما اقترب منها احد
 وتهدد بطعنه بالسكين وظلت تطعن نفسها حتي
 سقطت علي الارض بعد ان فارقت الحياه ولا
 يدري احد السبب لكن بعد ذلك بساعة واحده
 وجدو صراخ وعويل يأتي من منزل في منتصف
 الحاره فأسرع الجميع لنجده اهل المنزل لكنهم
 عندما دخلو المسكن وجدو سيده واطفالها
 الثلاثه النيران تشتعل فيهم وحاول الجميع انقاذ

السيده لكن جميع المحاولات فشلت وتجمع
 الناس عند المسجد واصبح لا حديث للحاره
 سوي تلك الحوادث الغريبة التي حدثت
 في مساء نفس اليوم استيقظ اهل الحاره علي
 صراخ يأتي من منزل حسن درغام وعندما
 اجتمع الناس عند المنزل وجدو كل الخدم يخرج
 من المنزل وهو يصرخ ويقول ان المنزل
 مسكون بالاشباح وانهم وجدو جثته سيدهم حسن
 درغام غارقة في الدماء وسط المنزل وبعد لحظه
 وجدو السيد حسن يخرج من مخدعة متعافي
 تماما واختفت الجثة والدماء ، اجتمع الناس امام
 منزل نوح الالفى وبعد ان فهم الموقف اتجه الي
 منزل حسن درغام وفور دخوله بداء عبد
 الرحمن وعبد الله ينتقلون من غرفة الي الاخرى

ومن مكان الي مكان للبحث عن نفر من الجن او
 سحر او طلسم لكنهم لم يجدو اي شئ وجلس
 نوح علي الارض وبداء يقرأ بعض الايات
 المهلكه للجن لكن لا اثر للجن في ذلك المكان
 سوي عمار البيوت وبداء بعد ذلك في قراءه
 ايات ابطال السحر لكن عبد الله يؤكد له ان
 المنزل نظيف من اي سحر او اعمال او جن
 ورغم ان الشيخ نوح طمأن الناس الا ان الذعر
 دب فيهم مره اخري عندما سمع الجميع صراخ
 يأتي من احد منازل الحاره ووجدو رجل عاري
 تماما يخرج من منزله وهو يصرخ ويقول ان
 زوجته تحولت الي وحش له انياب وعين واحده
 وانه قتل الوحش .

ظل نوح الالفي يجوب البيوت طوال الليل يكشف عنها ويحاول البحث عن اي سحر او عمل سفلي او طلسم مكتوب او نفر من الجن لكنه لم يجد اي شئ وبدئت الناس تمل حديث نوح بأن الحاره خالية من الجان والعفاريت والسحر .

مرت الايام التاليه ثقيله وكل ساعة يسمعون احد يصرخ وستغيث من وحش او اثاث يتحرك من تلقاء نفسه او نار تشتعل في منزله وعندما تهب الناس في نجده المستغيث لا يجدو اي شئ غريب وتوافد الناس علي منزل الشيخ نوح في صباح اليوم الثاني لنجدتهم لكن الشيخ نوح كان دائما يؤكد لهم ان منازلهم نظيفة تماما من اي جن او سحر ونوح نفسه كان متعجب مما يحدث ففي المساء جلس في خلوته وامر عبدالله

بأحضر عمار البيوت من أجل استجوابهم ثم
 حضر عبد الله ومعة عمار كل البيوت التي
 اشتكى اصحابها من امور غريبه ووقع فيها
 احداث عجيبه وبعد ساعة من استماع نوح
 لعمار البيوت وما رووه عن الحوادث اكتشف ان
 كل شخص يصاب بحاله من الفزع مره واحده
 دون سابق انذار وكل عمار البيوت اكدو له انهم
 لم يروا اي نفر من الجن دخل المنزل مما زاد
 الامر تعقيدا

وحموده الفتوه تعارك مع رجاله جميعا وهو في
 حاله فزع شديد ويقول انهم تحولوا الي شياطين
 وسريعا ما هداء عندما هربت الرجال من امامه
 ، حتي رواد المقهي صرخو ذات يوم خرجو من
 المقهي مفزوعين وأحدهم يقول ان عرفة يتحرك

في المقهي بلا رأس واخر يقول ان الثعابين
 تملئ المكان وعلي الاريكه والمقاعد وفي كل
 شبر وعجوز قال ان القهي يشتعل نارا والناس
 تموت بداخله وانتشر الرعب والفرع بين الناس
 وانقطع الامل في نوح ويأست الناس من انها
 تجد من ينجدهم

اجتمع الفتوه حموده ورجاله ومحمد جمال
 العطار ونعناع وبعض الاعيان وزخاري تاجر
 السلاح في منزل درغام لمناقشة الاحداث
 الغريبة التي تحدث في الحاره بعد ان اعتاد
 الناس علي وجود قتيل او اكثر كل يوم فقال
 درغام

_ انا اري ننا نبعث احد الخدم في استدعاء
 الشيخ رمان من حاره الزغبى فهو شيخ جليل
 وله باع طويل في محاربة الجن والسحر
 فتنهد زخاري وقال

_ لا يجدي هذا نفعا سيظل الشر باقيا ببقاء نوح
 الالفى الم نرى جميعا ان الاحداث الغريبة حدثت
 في كل بيوت الحاره الا منزله هو
 فتعجب الناس من كلامه وقال نعناع

_ انه امر عجيب حقا لكن نوح رجل فاضل
 عاش بيننا سنوات ولم نرى منه اى سوء
 فقال حموده بسرعة وكأن الفرصة جاءت له على
 طبق من فضه للتخلص من نوح الى الابد فهو
 الوحيد في الحاره يهابه بسبب كرماته وعفريته

_ انا علي استعداد ان اخلصكم منه اليه

فقال درغام

_ الهدوء ... نحن لا نعرف سبب ما يحدث رغم
ان نوح لم يجد احد من اهل الحاره لكني استبعد
انه خلف كل هذه الاحداث

فقال زخاري

_ بل هو من فعل هذا بنا انتقاما من الحاره لانها
هتفت لزقلط عندما انقذها من الثعابين والحد
ملئ قلبه ولم يستطيع تحمل رؤية بطل اخر
غيره

فقال حموده

_ نكتفي بطرده من الحاره كلها هو وزوجته

وهمس الجميع وبعد نقاش داما طوال الليل اتفق
الجميع علي ان يتولي حموده ورجاله طرد نوح
من الحاره هو وزوجته وان رفض يجبره علي
ذلك

خرج محمد جمال من منزل درغام الي منزل
نوح وطرق علي الباب بعنف وشده وعندما فتح
له نوح دفعة بقوه ودخل المنزل عنوه وقال له
_ حموده ينوي قتلك الليلة

وجلس محمد جمال العطار وقص علي نوح ما
حدث في منزل درغام وكيف استطاع زخاري
اقناع الناس بأن نوح هو سبب البلاء وعندما
خرج من المنزل سمع حموده يتفق مع رجاله
علي قتلك ثم يقول بعد ذلك انك حاولت قتله هو

الرجال فقتلك دفاعا عن نفسة وهنا تنهد نوح
وقال

_ لله الامر من قبل ومن بعد لكن من المؤكد ان
هربت سوف يعرف الجميع انك ابلغتني ولن
تسلم من شر حموده ورجاله

_ سوف اهرب معك لا يوجد لي مكان هنا والان
هيا استعد وسوف نتقابل عند مشارف الدراسة
عند الفجر بعد ان احضر زوجتي وابنائي
_ ستجدني هناك

خرج محمد جمال العطار وجلس نوح مع
زوجته وقص عليها ما حدث ولم يمضي الكثير
من الوقت حتي جمعت فاطمه بقجة مكتظة

9

أوشك الفجر ان يطلع . وأوي الي المضاجع كل
حي في الحاره حتي الكلاب والقطط . واستقر
الظلام بالاركان كأنه لن يبرح ابدا . وفي رعاية
الصمت الشامل فتح نوح باب المنزل في حذر
شديد ، فتسلل منه شبهان ، سارا في سكون
نحو مدخل الحاره ثم الي الجمالية ومنه الي
الخلاء . نقلا خطواتهما في حذر وجعلا يتلفتان
وراءهما من حين الي حين ليطمئنا الي ان احدا
لا يتبعهما واوغلا في الخلاء مهتدين بنور
النجوم المتناثره ، حتي تبينا صخره كقطعة من
الظلام أشد كثافة مما حوله وعند الصخره
تنهدت فاطمه وقالت

_ نوح ، تعبت

فتوقف نوح عن المسير وهو يقول في غيظ

_ استريحى ، ربنا يتعب المتعب !

وضعت فاطمة البقجة علي الارض وجلست

عليها مفرجه ما بين فخذيهما ووقف نوح لحظه

ينظر فيما حوله وهبت عليهما نسائم معبقة

بأنفاس الفجر الرطبية

وقالت فاطمة

_ الي اين سنذهب ؟

_ الي الدارسة فأنا معي مبلغ لا بأس به سوف

يكفينا شهور بعد ان نستأجر منزل لنا وسنعيش

كما يعيش الناس

_ ونعيش في غربة كمن لا أهل له ، ويتولد
ابننا بين قوم غرباء

فنظر لها نوح في زهول والدهشة تملئ وجهه
_ ماذا قلتي ؟ هل انتي حقا

فقالت

_ نعم انا حيلة . الداية أكدت لي هذا الصباح
لكني لم استطيع ان اقول لك بسبب ما حدث
فأتسم نوح وقال

_ انها البشره وسوف ننتصر قريبا ان شاء الله
ونحيا حياه جميله تفائلو بالخير تجدوه

وسكتت فاطمة لتسبح في امواج الظلام . سيطلع
عليها الصباح بين قوم غرباء سيكون الغرباء

جيرانها الجدد وتستقبل أيديهم وليدها وينمو
الوليد في أرض غريبة كغصن مقطوع من
شجره وكان نوح يقلب وجهه في السماء وفي
النجوم الساهره ويرنو الي طلائع الضياء فوق
الجبل كسحابة بيضاء في افق سماء مكفهرة
وقال محذرا

_ ينبغي ان نسير كي نبلغ الدراسة قبل الشروق
. محمد العطار ينتظرنا هناك

قامت فاطمه . تناول كفها في يده وسار نحو
الجنوب ، نحو الدراسة عندما اقترب من مدخل
الدراسة وجد عربه كارو يجرها الحمار ويجلس
عليها محمد جمال العطار وزوجته وطفلتين
فرفع له يده من بعيد فأسرع الخطا نحوه وركب

هوو فاطمه العربية وانطلق بها محمد جمال
محدثه عجالاتها ضجه في سكون الفجر .

واصلت الأسره مسيرها نحو الحاره وبدأت
الحاره ملعبا للغلمان الحفاه علي حين افترشت
أسر الارض او الحصر امام مدخل البيوت لينقوا
الفول او يخرطوا الملوخية وتبادلت احاديث
ونكات وزجر ونهر وتعاليت ضحكات وصرخات
ومالت اسره نوح ومحمد العطار نحو حي من
احياء الحاره فصادفهم في عرض الطريق شيخ
ضريير يتلمس طريقة بعصاه علي مهل فقال نوح
له

__ السلام علي من اتبع الهدى

فانتبه الرجل وقال

_ السلام عليكم .صوتك غريب انت غريب عن
الحاره ؟

_ نعم جئنا من بلاد بعيدة ونرغب في أستأجار
سكن

فقال الرجل وهو يشير نحو ربع النصر

_ هناك ربع في اخر الحي ستجدون فيه سكن
لكم ان شاء الله

_ شكرا لك يا

_ عم حشمت الشاعر ستجدني هناك في مقهي
النصر وسط الحي انشد عند اليل الا تحب سير
الابطال علي الربابه

_ سوف نحضر ان شاء الله

ومضي الجميع وهم يركبون الكاروا بعد ان
شكرو الرجل وتوقفوا امام ربع النصر ليستلم
نوح وزوجته مسكنا ومحمد العطار واسرته
مسكنا وشانت الاقدار ان يكون مسكن نوح امام
مسكن محمد في هذا الربع وتراءت في نافذه
مطله علي الدهليز فتاه حسناء ذات جمال وقح
وقفت تمشط شعرها امام زجاج النافذه فلما رأت
القادمين تساءلت في دلال

_ من القادم ؟

فقال رجل

_ جيران جدد يا هند سيقيمون في الدهليز

امامك

فهتفت ضاحكة

_ ربنا يزيد في الرجال

ومرت عيناها علي محمد العطار دون اكتراث
لكنها وقفت علي نوح بأهتمام وإعجاب ودهش
نوح لنظرتها الجريئه وتبع الاسره الي باب
المسكن وصوت هند يغني

اه من جماله يامه

فتح نوح دكان لبيع الاواني عند مدخل ربع
النصر وفي الجه المقابله له فتح محمد جمال
دكان عطاره صغير ومع الصباح خرجت فاطمة
وزوجه محمد تتسوق ومضي نوح ومحمد الي
الدكان وجلسا علي عتبة الدكان ينتظران الرزق
فقال محمد لصاحبة

_ متي نعود للحاره ؟

_ سوف نعود عما قريب اعدك بهذا لكن يجب
ان احل اللغز اولا

وعند المساء ذهب نوح ومحمد الي قهوه النصر
. كان حشمت الشاعر متربعا علي اريكتة يحسو
قهوته وجلس شلضم صاحب القهوه عند المدخل
علي حين احتل بدوي الفتوه مكان الصداره
وسط هاله من المعجبين وقصد نوح ومحمد
الفتوه ليرديا اليه تحية الخضوع ثم اتخذا مكانا
خاليا جنب شلضم وما لبث ان تناول محمد
الجوزه ، ونوح يحسو قدح قرفة بالبندق وبدا
جو القهوه ناعسا تنعقد في سمائه سحب الدخان
وتنتشر في هوائه الساكن روائح المعسل
والنعناع والقرفة اما الوجوه ذات الشوارب
المستنفرة فلاحت شاحبة ثقيله الاجفان وتلاقي

السعال والنحنحة بالضحكات الغليظة والنكات
 الفاجره ، وترامي من بطن الحاره هتاف الغلمان
 يغنون ويلعبون فوق بصر نوح علي هره تخرج
 من تحت الاريكه وقابضة بأسنانها علي فأر ورد
 نوح عن فيه قدح القرقة متقرزا ورفع عينية
 فوقعنا علي بدوي وهو يبصق وصاح بدوي
 مخاطبا حشمت الشاعر

_ متي تبدأ يابن القديمه

فأبتسم حشمت وهو يهز رأسه ثم تناول الربابه
 وبعث من اوتارها انغام الافتتاح وبدأ بتحية
 بدوي الفتوه ومضي يقول حكاية ابو زيد الهلالي
 والزناتي خليفة في جو من الانصات وتابعة نوح
 بشغف كم سمع ان الدراسة تشتهر بالحكايات
 وفيها اجمل الشعراء وحقا كانت جديره بالحب

هذه الحكاية وكان الليل يتقدم ومحمد جمال
يدخن جوزه ثالثه واختفيت من الحاره نداءات
الباعة وهتافات الغلمان ولم يعد يبقي سوي
انغام الرباب ودقه دربكه أتيه من بعيد وصراخ
امراه ينهال عليها زوجها ضربا فقال محمد
جمال

_ لم نسمع بشاعر الربابه في حارتنا من قبل
_ عندما نعود سوف اجعل حشمت يأتي الي
القهوه مره في الاسبوع علي الاقل
_ هل مازلت تؤمن بالعوده

غادر نوح ومحمد العطار المقهي في منتصف
الليل وكانت الظلمه تكاد ان تتجسد وهناك
اصوات رجال كأنما تصدر عن لاشئ وسيجاره

تتوهج في يد غير مرئيه كأنها نجم تهاوي نحو
الارض وتساءل محمد

_ اعجبتك الحكاية ؟

_ نعم ما اجمل الحكايات

فأنتبه محمد ان نوح شارد الزهن فقال

_ ماذا حدث ؟ لما انت شارد الزهن

_ انني اري سياره تتوهج في يد غير مرئيه

_ وما العجب في ذلك

_ هذا لاننا نعلم ان هناك من يحملها ولكن اذا

ذهبنا الي هناك ولم نجد شخص يحمل السياره

ماذا سيحدث

_ سنفزع طبعا

_ وهذا ماحدث في حارتنا

_ كيف ؟

_ كنا نري ضوء يتوهج ونركض خلف الضوء

نرغب في ان يختفي ولم نسأل من خلف هذا

الضوء المتوهج

_ انا لم افهم شيء

_ سوف تفهم كل شيء فيما بعد

في الصباح فتح نوح دكانه وكان يتصاعد من

الحوش سباب حاد تبادله نسوه ممن اجتمعن

للغسل والطهي وكانت المعركة الاساسية تدور

بين امرأتين وقفت الاولى وراء طشت غسيل

تلوح بيدين مغطاتين برغوه الصابون ووقفت

الاخري عند مدخل الدهليز مشمره عن ساعديها

ترد السب بأفطع منه وترقص وسطها استهزاء
 اما النساء الاخريات فانقسمن الي فرقتين
 وتلاطمت الاصوات حتي تجاوزت جدران الربع
 بالشتائم والقذف العاهر وسرعان ما دخل نوح
 الدكان متقززا ففي كل لسان سم وفي القلوب
 الضغائن حتي النساء حتي القطط اما الهواء
 النقي فهو في الغورية في حارته الجميله التي
 ولد فيها ونشاء فيها ولم يشاء ان يولد ابنه في
 هذه الحاره القزره

10

مرت الايام ثقيله كئيبة ونوح شارد الزهن دائما
 يسعى في حل اللغز وفي احد الايام استيقظت
 فاطمة ولم تجد نوح بجوارها في الفراش فظنت
 انه ذهب الي الدكان في الصباح الباكر وظلت
 طوال اليوم حبيسه الدار حتي المساء وانتظرت
 عوده نوح لكنه لم يحضر وعندما انشغلت عليه
 ذهبت الي مسكن محمد جمال تسأل عنه ضنا
 منها انه ذهب الي المقهي معة لكن الرجل قال
 لها انه لم يراه اليوم حتي الدكان كان مغلق
 طوال اليوم ولعبت الظنون برأس فاطمة وظنت
 ان نوح قضى ليلته عند هند مثل باقي الرجال
 وعلي استحياء طلبت من محمد ان يسأل عنه
 هناك لكن الرجل انكر تماما ان يفعل الشيخ نوح

مثل هذه الافعال وامام الحاح فاطمه توجه الي
 مسكن هند وطرق الباب ووجهه يزداد حمرة
 ففتحت هند الباب بقميص يكشف اكثر مما يستر
 وقالت له في دلال وهي ترقص حاجبية

_ حتي انت يا ولدي ؟ صحيح ياما تحت الساهي
 دواهي

فقال متلعثما

_ الشيخ نوح عندك

_ نوح ؟ لمة؟

فهم محمد بالانصارف فقالت

_ هو تايه ؟ ربنا يعطركم فيه

وخرج محمد العطار يبحث عنه في كل مكان في
الحاره والاحياء المجاوره حتي فاطمه ذهبت الي
حشمت الشاعر تسأل عنه وطرقت الباب برقة
وقالت بأدب عندما انفتح الباب

_ مساء الخير ياعم حشمت

عرفها الرجل من صوتها وقال

_ اهلا بست الستات فاطمه ادخلي

_ جئت اساءل عن نوح

_ والله لم اسمع عنه شيء طوال اليوم حتي انني

ذهبت الي دكانه عند الصباح اجلس معه قليلا

لكني وجدت الدكان مغلق

_ شكرا ياعم حشمت

_ ابقى طمنينا يابنتي اذا سمعتم عنه اي حاجه
والغايب حجة معاه

ووجدت فاطمة محمد العطار ينظرها في الدهليز
فقال له

_ سوف اذهب معك الي سوق المقطم فهو
يشترى بضاعة من هناك
فقال محمد

_ استريحى انتي وانا سوف اذهب انا اعرف كل
التجار الذي يتعامل معهم

_ لن استريح قبل ان اجد زوجي

وامام اصرارها خضع لها الرجل واستقلا عربة
كارو الي سوق المقطم وسألا عنه عند التجار

واصحاب الدكاكين الصغيره التي تشتري منه
 بالجملة وعند المعارف والاقارب وعادوا الي
 الحاره في الدراسة كما ذهبوا لكن في حاله من
 الجزع اشد ولاكت الألسن اختفاه خاصة بعد ان
 مضت عليه ايام . صار دعاية في القهوه وبيت
 هند الغانية ولعل حشمت الشاعر هو الوحيد
 الذي شاركا فاطمه ومحمد جمال في احزنهما
 وقال حشمت

_ اين ذهب الرجل ؟ ليس هو من أولئك الرجال
 ينجذبون خلف اي أمراءه

وقال شلضم ذات مره وهو سكران

_ راجل تائه ياولاد الحلال

كأنما ينادي علي طفل تائه فضحكت الحاره
 وراح الغلمان يرددونها ومرضت فاطمه من
 الحزن علي زوجها وعمل محمد العطار في دكان
 نوح ودكان العطاره وكان يعطي لفاطمه كل يوم
 حساب دكان ويحاسبها بما يرضي الله

ويوما كان محمد العطار يقف في دكان نوح يبيع
 بعض الاواني وهناك نسوه علي الجبه الاخري
 امام دكانه ينتظرانه حتي يأتي ويبيع لهم ما
 يشائون واذا صاحت به هند وهي عائده من
 مشوار

_ عم محمد يعطار .. انظر

وجدها تشير الي نهاية الحاره وغادر الدكان
 ولأناء في يده ليري ما تشير اليه فرأي صديقه

نوح يتقدم نحو الربع وترك الرجل الاناء علي
الارض وهرع نحو صديقة يتفحصة بدهشة ثم
قبض علي عضدية هاتفا

_ نوح ! أين كنت ؟ ألا تدري ما يعني غيابك لنا
؟ وفاطمة المسكينة التي تكاد ان تموت جزعا

ولم ينبس نوح فسأله محمد العطار

_ هل كنت مريض ؟

_ كلا ، دعني أري فاطمة

واقتربت هند منهم وسألت الرجل

_ ولكن اين كنت ؟

في ينظر نحوها وتجمع حوله الغلمان . فسار به
محمد العطار الي البيت وسرعان ما تبعهما عم

حشمت الشاعر ولما رآته فاطمه وثبت من
الفراش وضمته الي صدرها وهي تقول

_ هانت عليك فاطمه يانوح

فتناول راحتها بين يديه وأجلسه علي الفراش
وجلس الي جانبها وهو يقول

_ اني اسف

فسأله اكثر من صوت

_ اين كنت ؟

_ كنت في الخلاء ولم اكن اتركه الا لشراء
الطعام

فضرب محمد العطار جبهته بيده وصاح

_ ما هكذا يفعل العقلاء

__ ارغب في الراحة والنوم الان وبعد العشاء
 سوف نجتمع هنا واقص عليكم ماحدث فعندي
 انباء خطيره

انصرف الجميع تباعا تاركين نوح يستريح
 واتجه هو الي الفراش واستلقي وسريعا ما
 غاص في نوم عميق

11

بعد صلاه العشاء اجتمع محمد جمال العطار
وزوجته مع نوح وفاطمة وعم حشمت في
مسكن نوح وجلس الجميع امامه ثم قال

_ لقد عرفت كل شيء عن الفتى زقلط

فقال محمد بحماس

_ قول لنا ما تعرفه

فعاد يقول

_ الفتى زقلط هو خادم للشيطان الذي يسكن
حارتنا اتعلمون من هو الشيطان ؟ انه زخاري ..
نعم زخاري هو الشيطان متجسد في صورته
بشري وزقلط من احد اتباعه وجندي من جنوده

فهذا الفتى حاوي ابن حاوي وفي يوم من الايام
 ضاقت الدنيا في وجهه واصبح الرزق شحيح
 فذهب الي احد الاطباء وعمل عنده مساعد وبعد
 عشره اعوام تعلم الفتى كل شئ عن الطب
 والدواء والعلاج بالعشب الطبي بل تفوق علي
 الطبيب نفسه وصنع دواء يشفي من امراض
 كثيره فنسب الطبيب هذا الدواء لنفسه فقتله
 زقلط علي فعلته هذه وهرب هو وجحشة وكاد
 يموت جوعا حتي ظهر له الشيطان وعقد مع
 صفق وهي ان يمنحه الاول ذهب وفضه والثاني
 يساعده في خطف بعد الاطفال حتي يستطيع ان
 يفتح الابواب السبعة لملوك العالم السفلي
 ليعاونوا ابليس في حربيه علي البشر وانصاع
 الفتى وعقد مع ابليس الصفقة وتعلم علي يده

كل انواع السحر وفي اليله التي صبقت دخول
 الفتى الحاره اتفق مع ابليس انه سوف يحضر
 له الاطفال ويجعل الحاره كلها تخضع له دون
 استخدام السحر لانه يملك سحر اقوي واشد من
 كل انواع السحر وهو العلم وعلوم الكيمياء
 وعلوم الدواء والاعشاب والقدرة العجيبة في
 الشفاء فوافق ابليس علي ذلك حتي يتجنب الفتى
 مواجهتي واعتمدت خطه الفتى علي ان يصبح
 هو منقذ الحاره واصبح انا عدوها الجاهل
 الدجال ويطيح بي من هناك بعد ان يكرهني
 الناس فقام بوضع الثعابين في بيوت الحاره كلها
 حتي يتسني له الدخول ويشعل بخور خاص
 صنعة بنفسه يسبب للناس بعد الخيالات التي لا
 وجود لها وبعد ان وضع البخور وانقذ الناس

من الثعابين جاءت الخطوه الثانية وهي الخيالات
 التي تراها الناس والاشباح وكل هذا بسبب
 البخور واصبح الناس علي يقين ان منازلهم
 مسكونه وانني دجال نصاب او انني من قام
 بصنع هذا حتي اجبروني علي الهرب وبعد ذلك
 ظهر زقلط مره اخري وصنع لهم دواء وقام
 بتوزيعه علي الناس وتم شفاء الناس جميعا
 واصبح هو البطل منقذ الحاره وزخاري كان
 يدعمه بكل قوه وفتح باب منزله للناس واصبح
 يعالج كل اهل الحاره وقام بأختراعات كثيره
 تشفي الامراض العضال الميؤس منها وفي احد
 الايام طلب زقلط من بعض الفقراء ان يرسلوا
 بناتهم اليه حتي يقوم بالكشف عليهم ويجرب
 عليهم بعض الادويه الجديده وقام بمراسم فتح

الابواب السبعة وخرج الملوك واصبحو في طوع
ابليس واعوانه _ كيف عرفت كل هذا

_ عندما ضاقت بي الدنيا خرجت الي الخلاء
استنشق الهواء العليل فجلست عند صخره كبيره
وبعد لحظه لاح شبحان وعلي ضوء القمر تبين
لي انه زقلط وزخاري وعندما سألت عبد
الرحمن قال لي انه زخاري هو ابليس نفسة
فغلي الدم في عروقي واقسمت علي قتله رغم
انني اعلم انه لا يموت فأتجهت نحوه في نفس
اللحظه التي هرب فيها زقلط وقبت علي زخاري
من عنقة وطرحته ارضا وكان اضعف من الطفل
الرضيع لكنه ضحك بشده وقال لي

_ انا لن اموت يا نوح والحرب بيننا سيجال
وانتهي زمن السحر والشعوذه والان جاء زمن

العلم والعلماء وسوف اجلع الناس تخضع لي
 سيكون العالم كله عبيد عندي بفضل العلم
 والاختراعات التي سيخترعها جنودي من البشر
 سوف الهي الناس جميعا عن ذكر الله وازين لهم
 الدينا ومن الان سوف يراك الناس جميعا دجال
 نصاب ورجعي ومتخلف واي شخص يتحدث عن
 الجان والشيطان فهو متخلف ورجعي بعد
 سنوات سيسود العلم العالم كله وينس الناس
 الحرب بيني وبينهم ويتحول الجميع الي عبيد
 عندي اتحكم فيهم كما تتحكم صبيانكم بالكره
 _ وقص علي قصه زقلط كما قصصتها عليكم

فتنهت فاطمه وقالت

_ هل نهزم هكذا ببساطه

فقال محمد العطار

_ هل انتهت المعركة هكذا

فقال عم حشمت

_ المعركة مازالت مستمره وما خسرنا سوي

جوله واحده والان ماذا سنفعل يانوح

_ ادوات الحرب تغيرت واصبح عدونا يحاربنا

بالعلم لا باسحر والجان ولذلك يجب ان يكون

هناك علماء مسلمون علماء في طاعة الله كما

سيصنع ابليس علماء في طاعته تروج افكاره

وافكار الكفر والزندقه وتتهم الاسلام بالتخلف

والرجعية ولذلك سوف انشأ مدرسة لتعليم فنون

وعلوم الكمياء والفزياء وطب الاعشاب والادويه

وعلوم القرآن الكريم حتي نصنع علماء مسلمون
حقا ونسود العالم بأسره

فقال محمد جمال

_ لكننا لا نعرف حتي ماهي الكيمياء والفيزياء
هذه فكيف نعلمها للناس

_ سوف اعلمهم انا علم القرآن والاحاديث
والتفاسير وانت ستعلمهم علم النباتات والادويه
والاعشاب وسوف تدرس معهم علم الكيمياء
وبعد ذلك نرسل الطلبة الي الازهر الشريف
ليستكملو باقي دراستهم .

وعكف نوح ومحمد العطار علي انشاء المدرسة
في سوق المقطم ومرت السنوات وهم يعملون
بجد واجتهاد ومحمد يتعلم علم الكيمياء حتي
اصبح من اشهر علماء زمنه وخرجت المدرسه اجيال
من التلاميذ النوابغ الذين التحقو فيما بعد بالازهر

الشريف وقام محمد علي باشا في ذلك الوقت بأرسال
 أكثر من بعثة تعليمية الي باريس وانجلترا ليتعلم ابناء
 الشعب المصري كافة العلوم من الطب والزراعة
 والعسكريه وعادت البعثات التعليمية ومنها يوسف
 افندي بن نوح الالفي ومعه

اختراع جديد وهي ثمره فاكه جديده وقام بزراعتها هنا
 في مصر واطلق عليها الشعب المصري اسم يوسف
 افندي ثم تحرف الاسم الي يوستفندي او يوسفى وظل
 الصراع جيل بعد جيل من ابناء نوح الالفي وبين جنود
 الشيطان حتي يومنا وساعتنا هذه.

تمت

تأليف

إسلام العقاد

